

إدموند هوسرل وتعامله مع المنهج الفينومينولوجي

Edmund Husserl and his dealings with the phenomenological method

د. فيصل زيات^{*}

¹ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي- تبسة (الجزائر)، وحدة البحث علوم الإنسان للدراسات الفلسفية، الاجتماعية

والإنسانية، fayssal.ziat@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2025/06/30	تاريخ القبول: 2025/05/11	تاريخ الاستلام: 2025/01/19
-------------------------	--------------------------	----------------------------

ملخص: تهدف هذه الدراسة المقدمة مقارنة الفيلسوف الظاهري الوجودي إدموند هوسرل، إشكالية المنهج الفينومينولوجي، التي كانت مثار بحث وجدل الفلاسفة خلال القرن التاسع عشر، وهو العصر الذي نهضت فيه العلوم، وزاد الاهتمام بالمنهج. وتوصلت الدراسة إلى أن هوسرل أسهم بنصيب وافر بمنهجه الفينومينولوجي، في ردم الهوة الموجودة بين المعرفة والوجود؛ من خلال منهج دقيق وصارم، يربط بطريقة تركيبية قصدية بين الذات والموضوع، والتي تأخذ بعين الاعتبار البعد الاستيمولوجي والبعد الانطولوجي في التعاطي مع الظواهر الإنسانية التي يتلقاها الوعي.

كلمات مفتاحية: المنهج الفينومينولوجي؛ القصدية؛ الوعي؛ إدموند هوسرل؛ الذات والموضوع.

Abstract: This study aims to approach the existential phenomenological philosopher Edmund Husserl, the problem of the phenomenological method, which was the subject of research and debate among philosophers during the nineteenth century, the era in which the sciences rose and interest in the method increased. The study concluded that Husserl contributed a large share with his phenomenological method in bridging the gap between knowledge and existence; through a precise and strict method that links in an intentional synthetic way between the subject and the subject. Which takes into account the epistemological and ontological dimensions in dealing with human phenomena received by consciousness.

Keywords: Phenomenological method; intentionality; consciousness; Edmund Husserl; subject and object.

1. مقدمة:

إن كل المواضيع التي تدرسها الفلسفة لها علاقة وطيدة بالإنسان، ولذلك فقد اعتبر الفيلسوف كانط بأن السؤال المركزي في الفلسفة هو: ما الإنسان؟ (فيصل، ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2022، صفحة 677)، فكذلك الفلسفة الفينومينولوجية فهي فلسفة الإنسان بامتياز خاصة في الفترة المعاصرة.

وقد احتلت الفينومينولوجيا الصدارة في الفكر الفلسفي المعاصر واتسع نطاق تأثيرها في كثير من جوانبه فقد تناولت الموضوعات الفلسفية التقليدية لكن بطريقة جديدة مبتكرة، حدد على إثرها هوسرل هدفا واضحا وبعيدا للفينومينولوجيا، تمثل في تأسيس الفلسفة كعلم كلي يقيني دقيق موضوعه الماهيات العقلية المجردة، يقف على مستوى أعلى من العلوم الأخرى والمعارف الممكنة، من حيث أنها منهج بحث وليس فكرا مدرسيا، ولا يمكن تصنيفها ضمن الفلسفات الحديثة على اعتبار أنها تشكل تيارا فلسفيا قام بقطع الفكر السائد في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي إحدى الأفكار الأساسية في القرن العشرين الميلادي.

لعل الفلسفة الفينومينولوجية هي الأكثر شهرة التي تشكل التيار الفلسفي الثاني الكبير الذي أدى إلى قطع الصلة والانفصال عن الفكر السائد في القرن التاسع عشر الميلادي في الحضارة الغربية، والأدق أن يقال أن الفينومينولوجيا هي واحد من تيارين من نفس النوع خرجا من معطف واحد، هو معطف مذهب فرانز برنتانو، أما التيار الثاني بجوار الفينومينولوجيا، فهو الذي يمثله "ألكسس مينونج" و"كرستيان إرنفلز". (فيصل، مباحث في الفلسفة القارية- الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، 2024، صفحة 13)

أما الفينومينولوجيا ذاتها، وهي أهم بكثير من تلك الحركة الأخرى، فإن الذي أسسها هو "إدموند هوسرل 1859-1938" وتتبعه في ذلك مدرسة كبرى شملت شخصيات قوية، وقد بدأت في ألمانيا أولا، ثم انتشرت في أرجاء بلاد الغرب.

تهدف الفينومينولوجية عند هوسرل إلى إعادة تأسيس الفلسفة على مبادئ مطلقة، أو بطريقة أخرى جعلها علما صارما لذلك استندت إلى منهج صارم ودقيق من أجل تحقيق غايتها القصوى، والتي تتمثل في الإدراك المباشر للظواهر التي يتلقاها الوعي من الشعور بشكل واضح.

إشكالية الدراسة:

ومما سبق يمكن طرح الإشكالية في التساؤل الرئيسي التي تأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عليه على النحو التالي:

كيف تشكلت الفلسفة الظاهرية كمنهج؟ وما هو هدف المنهج الظاهري عندها؟ وما المبادئ والأسس الابدستيمية التي قامت عليها؟ وهل يمكن القول أن المنهج الفينومينولوجي ساهم بشكل أو بآخر في تطوير الفلسفة على المستوى المنهجي؟

أهداف البحث:

الهدف من هذا البحث ليس مجرد عرض لماهية المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل ومقارنته له، وحضوره في الفكر الفلسفي المعاصر، بل إننا نهدف إلى تبيان أهمية أسس المنهج الظاهري ودوره الفعال في التحليل المنطقي لقضايا الفلسفة والعلم، بحكم أن هوسرل جاء من تخصص الرياضيات والدليل على ذلك أعد رسالة دكتوراه في الرياضيات، بعنوان مفهوم العدد دراسة نفسية، وحاول أن ينقل ذلك القين والصرامة الموجود في الرياضيات إلى الفلسفة ومنه تأسيس الفلسفة كعلم صارم.

كما تهدف هذه الورقة إلى أيضا إلى تبيان أهمية الدعوة إلى تفحص قوانا العقلية، على تجاوز هذه المشكلات الكلاسيكية للفلسفة، من أجل اكتساب المعرفة، ودور هذا الفحص في التحليل الابدستيمولوجي لهيئة السبيل لتجاوز تلك المشكلات وتطوير الفلسفة وقيامها على أسس متينة.

أهمية البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من موضوعها الذي يعالج "المنهج الفينومينولوجي" عند إدموند هوسرل بأولوية السؤال الابستيمولوجي للمنهج، ومناقشة التطور الابستيمولوجي لمشكلات الفلسفة وتجاوزها، مبررا ذلك بأن قبل أن نبدأ في البحث في المعرفة الإنسانية يجب أولا البحث في أداة هذه المعرفة وهي المنهج. (ويقصد بالمنهج الفينومينولوجي).

منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وهذا لتوضيح خصائص المنهج الفينومينولوجي وخطواته الأساسية، إضافة إلى المنهج التحليلي الابستيمولوجي، الذي يقوم على جمع المعلومات وتحليلها وقراءتها قراءة نقدية ابستيمولوجية ومن ثم استخلاص النتائج.

2. الفينومينولوجيا كمنهج خالص

منذ نشأتها، انخرطت الفلسفة الفينومينولوجية في التعامل مع البيانات التجريبية للتجارب المعاشة. ومؤخرا تفرعت الفلسفة الظاهرية نفسها إلى إجراء أبحاث نوعية منهجية، مما أدى إلى ظهور مجال غير متجانس من الفلسفة الظاهرية النوعية. إن الفينومينولوجيا أو الظاهرية أو الظاهرية هي دراسة وصفية للظواهر على نحو ما تبدو في الزمان والمكان بصرف النظر عما وراءها من حقائق. (مذكور، 1983، صفحة 127)

و"الظاهر" أو "الظاهرة" هو الموضوع الأساسي الذي يدرسه أصحاب كل من "المذهب الظاهري" و "علم الظواهر" وذلك في مقابل "الباطن" الذي رفضوا دراسته، وإن كانوا قد اختلفوا حول طبيعته، لكنهم لم يختلفوا حول دراسة "الظاهر" باعتباره موضوعا للبحث. (محمد، 1991، صفحة 51)

إن كلمة الفينومينولوجيا بالإنجليزية **phenomenology** تنقسم إلى كلمتين فإن **phenan** تعني الظاهر و **logy** تعني دراسة علمية لمجال ما.

فيشير هذا المصطلح إلى مذهب الفيلسوف الألماني هوسرل كما يشير إلى تيار فكري ينطلق من تصورات هذا الفيلسوف وأفكاره أو من المنهج الذي اعتمده بحيث قامت الفينومينولوجيا على نقد الميتافيزيقا الكلاسيكية داعية للرجوع إلى ما هو محسوس. (سعد، 2024، صفحة 353)

كما تعرف أيضا "الظواهرية" على أنها دراسة لظاهرة أو مجموعة من الظواهر. (Jacqueline, 2004, p. 310)

ويعرفها هوسرل بأنها العلم الخالص الذي يدرس الظواهر باعتبارها ماهيات، ويعرفها في موضع آخر على أنها علم ماهوي. (Edmund, 1982, pp. 3-10)

إذا كنا نجد عند فلاسفة التحليل ودعاة الوضعية المنطقية بمحاولات عديدة من أجل إحالة الفلسفة إلى علم وإفساح المجال أمام الدراسات المنطقية واللغوية، فإننا لن نعدم لدى إدموند هوسرل محاولة أصيلة من أجل جعل الفلسفة علما صارما ودقيقا. وليس من شك في أن لهوسرل أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة المعاصرة: لا لأنه قد وسم بطابعه عددا غير قليل من التيارات الفلسفية المعاصرة فحسب، بل لأنه قد نجح أيضا إلى حد كبير في وضع منهج فلسفي جديد، ألا وهو "المنهج الفينومينولوجي". (إبراهيم، 1968، صفحة 315)

يقول "هوسرل" "الفلسفة الظواهرية تريد أن تكون نظرية ماهية وصفية للتجربة المتعالية الخالصة" (هوسرل، 2011، صفحة 182) ويعرفها أيضا "على أنها العلم الخالص الذي يدرس الظواهر باعتبارها ماهيات". (Edmund, 1982, p. 03)

وترتبط "الظواهرية" بمجموعة من المفاهيم، والتي من خلالها يمكن فهم قواعد وأسس وأبعاد الظواهرية، ومن بين هذه المفاهيم نجد: "الأنا المتعالي" ويتجلى دوره في الاختزال الظاهري ويسمى كذلك بـ"الأنا الخالص" أو الأنا الأخير والنهائي. ويعتبر مفهوم "القصدية" أساس الفلسفة الظواهرية، وقد أخذ هوسرل هذا المفهوم عن أستاذه عالم النمساوي فرانس برنتانو ومعناها أن الوعي هو الوعي بشيء ما. (زيات، 2022، صفحة 18)

فقد كان هوسرل مع برجسون صاحب أكبر تأثير على الفكر الغربي في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، وهو تأثير دائم وعميق معا. وهو تلميذ للفيلسوف الألماني برنتانو كما أنه درس أيضا مع عالم النفس الألماني مارل اشتمف (1848-1936).

بدأ "هوسرل" حياته الفلسفية بأبحاث عن علم الرياضيات، حيث نشر الجزء الأول من كتابه الهام "فلسفة علم الحساب"، ولكنه مؤلف لا يدل في شيء على الطريق الذي سوف تأخذه من بعد فلسفة هوسرل. وقد ظهر في عام 1900-1901 مؤلفه الأساسي وهو "بحوث منطقية" وفيه يفحص أسس المنطق.

وفي عام 1913 نشر هوسرل كتابه "أفكار حول الفينومينولوجيا الخالصة" حيث تتحول الفينومينولوجيا إلى "فلسفة أولى" ويكون موضوعها هو المعرفة بوجه عام ويحتوي الكتاب على نتائج ذات طابع مثالي. وأصبح منهج هوسرل الذي يسمى "المنهج الفينومينولوجي" أصبح يستخدم ويطبق على يد قسم كبير من فلاسفة الغرب فيما بعد الحرب العالمية الأولى. (بوشنسكي، 1992، صفحة 180)

إن الهدف الذي يعلنه "هوسرل" من فلسفته هو إقامة دعامة مطلقة اليقين تقام على أساسها كل العلوم كافة، والفلسفة بخاصة. وهو يرى أن المصدر الأعلى لكل إثبات عقلي هو "الرؤية" أو حسب تعبيره هو "الوعي المانع الأصلي"

ينظر هوسرل إلى العلوم الرياضية على أنها "علوم ماهوية" ولا تخرج الفلسفة الفينومينولوجية نفسها عن هذه العائلة: لأنها لا تنظر إلى الوقائع العرضية، بل إلى العلاقات الجوهرية. وحين يقول هوسرل عن الفينومينولوجيا إنها وصفية بحثة فإنه يعني بذلك أنها تنحصر أولا وبالذات في عملية وصف الماهية. والطريقة التي تصطنعها الفينومينولوجيا في بحثها هي طريقة التوضيح التدريجي، ولكن لما كانت الفينومينولوجيا تنصب أولا وقبل كل شيء على الدعائم الأولى للمعرفة، فإنها يمكن أن تعد "فلسفة أولى" ولهذا قرر هوسرل أنها علم دقيق قاطع يستطيع أن يمضي في أبحاثه بكل ثقة ويقين.

إن "فلسفة الفينومينولوجيا" (أي علم الظاهرات) لا تشغل نفسها بالبحث في ذلك وهي لا تتجه إلا إلى المعطى، بدون أن تهتم بالتمييز بين ما إذا كان ذلك المعطى حقيقة أم وهم، فمهما يكن الأمر فإن الشيء هناك وهو وليس "المنهج الفينومينولوجي" استنباطيا ولا هو بالتجريبي كذلك. أنه ينحصر في "إظهار" ما هو معطى وفي إيضاح هذا المعطى. وهو لا يفسر مستخدما القوانين ولا يقوم بأي استنباط بدءا من مبادئ إنما هو يعالج مباشرة ما يأتي بين أيدي الوعي وفي متناوله ألا وهو الموضوع. (بوشنسكي، 1992، صفحة 182)

إذن "المنهج الفينومينولوجي" يهدف كلية إلى أن يكون منهجا موضوعيا، إن ما يهتم به مباشرة ليس هو الفكرة الذاتية، ولا هو حتى العمليات التي تقوم بها الذات (على الرغم من إمكان تطبيق "المنهج الفينومينولوجي" على هذه العمليات ذاتها باعتبارها معطيات) إنما هو "ما هو" معروف أو مشكوك فيه، أو محبوب، أو مكروه... إلخ.

إن هدف "الفينومينولوجيا" هو الوصول إلى الماهية، ومن أجل تحقيق هذا الهدف فإنها لا تستخدم الشك الديكارتي، وإنما تستخدم "تعليق الحكم" وهو ما يسميه هوسرل بالاسم اليوناني epoche (أي التوقف حرفيا، أو تعليق الحكم أو الشك في العالم الخارجي) والذي يعنيه هذا هو أن "الفينومينولوجيا" "تضع بين أقواس" عناصر معينة في المعطى، هي العناصر التي لا تهتم بها.

و"هوسرل" هو الذي حدد في فلسفته النهائية، أن كل تفكير ينبغي أن يبدأ بالعودة إلى وصف العالم الذي نعيشه. والواقع أننا لا نستطيع أن نتبين وحدة أجسادنا التي نعيش بها دون أن نتبين وحدة الأشياء وتتضح لنا حقيقة حواسنا في اللمس والنظر ابتداء من الأشياء. وتود "الظواهرية" أن تصبح علما من العلوم وأن تحتفظ لنفسها بطابع علمي جاد صارم. ولأجل بلوغ هذا الهدف وتحقيق هذا الغرض ينبغي أن تنبني الظاهرية على منهج. ولابد أن يتحول هذا "المنهج" إلى ما هو أكثر من منهج أعني أنه لابد أن يصبح فلسفة. (الديدي، 1980، الصفحات 17-19)

والمنهج الظاهري لا يجب أن يوهم الناس بأنه سيقوم بحل جميع إشكالات الفلسفة، وهوسرل نفسه حاول أن يطبق "المنهج الظاهري" في فلسفته وان يظل مخلصا له، فأعلن في كتاب من أوائل كتبه عن "الأفكار" أنه لن يقوم بحل إشكالات الفلسفة الظاهرية. بل حسبه أن يقوم بوضعها وضعا سليما من حيث هي مشاكل. وهذا المنهج الظاهري يعادل العلوم المنطقية والنفسية بل والطبيعية أيضا في صدقها وسلامة نتائجها. لأن أهم ما يوصف به هذا المنهج الظاهري هو أنه يهدف إلى أسلوب يختفي منه كل شك. وذلك لأن الذات موجبة إليه. فتصبح بالتالي كل حقيقة من عالم الواقع حقيقة من حقائق العقل، كما تصبح كل حقيقة من حقائق العقل حقيقة من عالم الواقع. (الديدي، 1980، صفحة 18)

3. مبادئ وخطوات المنهج الفينومينولوجي

ولد إدموند جوستاف ألبرخت هوسرل (1859-1938)، في روسنيتس في إقليم "موريفيا" وهي منطقة تقع بين النمسا والمجر، بعد إنهاء تعليمه الثانوي في الثانوية الحكومية الألمانية في هولمتز، تابع تعليمه الجامعي بجامعة لايبزنج من 1876 إلى 1877م، نظرا لتوفقه في الرياضيات والعلوم الطبيعية، التحق في أبريل 1878 بجامعة برلين ليتخصص في الرياضيات، ثم تولى عن الحساب ليدخل ميدان الفلسفة ويعطي لتحليل الشعور منطقا خاصا به بعد أن كان المذهب النفساني -فيما يقول بدوي- يعتبر المنطق فنا للتفكير الصحيح. (بدوي، 1984، صفحة 539)

كانت لدراسة هوسرل المبكرة للرياضيات تأثيرها الواضح في تكوين آرائه الأولى في علم النفس والمنطق ونظرية المعرفة، والتي تراجع عن بعضها في المراحل التالية، وقد بدأ هوسرل دراسته للحساب من وجهة نظر نفسية خالصة فرفض فيها أي تفسير عقلي أو منطقي لمفاهيم الكثرة والكلية والتفرد وغيرها مما يهتم به علم الحساب، وأراد أن يختبر الأسس الفلسفية للرياضيات من زاوية علم النفس، الذي كان مختلطا بالفلسفة في أوائل عصره.

تأثر هوسرل بالعديد من الأساتذة في المجال النفسي خاصة برنتانو والذي يظهر بوضوح في رسالة الدكتوراه والتي بناءً عليها وضع كتابه الأول عن "فلسفة الحساب"، الذي جعل عنوانه الفرعي "أبحاث نفسية ومنطقية" ركز فيه على الدراسة "الإبستمولوجية" للحساب قبل عنها فيما بعد.

في المرحلة الثانية من فكره، تحول هوسرل تدريجاً إلى دراسة المنطق الذي يمثل المرحلة الثانية من مراحل تطوره الفكري والذي ولج منه إلى "الفيينومينولوجيا".

في آخر مرحلة فكرية لدى هوسرل قام بالتركيز على دراسة علم النفس القصدي وتأسيس الفيينومينولوجيا المتعالية، أين قام بنقد مجموعة من المذاهب التي كانت سائدة آنذاك، بداية مع المذهب الطبيعي ثم النزعة النفسانية. (مصباح، 2022، الصفحات 153-154)

الظواهرية في الفلسفة هي المذهب القائل بالوجود الحقيقي للظواهر، وإنكار الجوهر المادي، إن الفيينومينولوجيا التي يسعى هوسرل إلى تقديمها كشكل جديد من الفلسفة المتعالية التي يمكن أن تكون شبه مؤهلة كديكارتية جديدة (Vieira, 2024, p. 130)، تحاول أن تجيب على سؤال رئيسي هو: كيف نفهم علاقة الوعي بالعالم بشكل يتجاوز المثالية والواقعية بمعناهما التقليدي؟ كيف نفهم الموضوع كما يبدو في الخبرة المباشرة؟ ولقد كانت كل القضايا والمفاهيم التي طرحها "الفيينومينولوجيا" عبر تطورها، تهدف إلى أن تمدنا بأدوات منهجية للإجابة عن هذا السؤال. (توفيق، 1992، صفحة 28)

لابد لنا أن نعترف منذ البداية بأن الفلسفة شأنها في ذلك شأن العلوم المختلفة ليست موضوعاً سهلاً، يمكن لكل فرد أن يفهمه بيسر وببساطة، بل هو موضوع يتطلب لمعرفة قدر من الجهد الفكري والمشقة العقلية مثله في ذلك مثل الفنون والعلوم. (رشوان، 1984، صفحة 09)

وهكذا نستطيع أن نقول مع برتراندراسل شيخ الفلاسفة المعاصرين، أن الفلسفة لم تكن منذ أقدم العصور من شأن المدراس وحدها كلا، ولا كانت أمراً تتنازعه قلة من

العلماء، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع، ولذلك فالفلاسفة نتائج وأسباب في آن معاً، هم نتائج للظروف الاجتماعية ولما يسود عصورهم من سياسة ونظم سياسية، وهم كذلك أسباب لما يسود العصور التالية من عقائد تشكل السياسة والنظم الاجتماعية. (رشوان، 1984، صفحة 14)

لقد كان الهدف الأساسي للمنهج الفينومينولوجي لهوسرل هو القيام بنقد جذري للفلسفة الغربية، وتفكيك الأصول التي تقف وراء أزمته وأزمة علومها التي أوصلتها إلى نفق مسدود. وكما هو معروف فإن الفينومينولوجيا تتأسس على شعار العودة إلى الأشياء في أصلها من دون أي افتراض لأي أحكام مسبقة.

فلقد سعى هوسرل إلى تقديم نقد جذري لنسق الفلسفة الغربية، الذي يقبع خلف أزمته وأزمة العلوم الأوروبية أيضاً، نقد يهدف إلى تحقيق الهدف الفينومينولوجي الأول وهو الوصول إلى الأشياء في ذاتها عبر تعليق كل الأحكام السابقة عنها.

والإشكالية العامة لهذه الأزمة هي أزمة العلوم والعقل ويستحيل حلحلتها إلا بعد معرفة الهدف العام من تاريخ الغرب، ويمكن اعتبار الأزمة هنا ومن منظور هوسرل هي أزمة مصير وهي في الوقت نفسه تشكل خطر كبير يحدق بأروبا، وللخروج من هذه الأزمة وتجنب هذا الخطر يضع هوسرل احتمالين: فإما أن تتلاشى أوروبا وتبتعد عن بعدها العقلي، أو أن نعرف حقيقتها وتولد من جديد من داخل أزمته، ففي الاحتمال الأول تفقد هويتها (المعنى العقلاني)، وهو المعنى الجوهرى لوجوده، وفي الثانية تنتصر بفضل جسارة العقل وتتحول إلى منارة للبشرية جمعاء. (بوعرفة، 2024، صفحة 64)

يقول إسماعيل المصدق - وهو مترجم كتاب هوسرل أزمة العلوم الأوروبية والظواهرية المتعالية- "هذه هي أزمة الفلسفة في الوقت الحاضر، وهي في نفس الوقت أزمة العلوم الجزئية، التي فقدت كل دلالة بالنسبة للإنسان وحيث أن البشرية الأوروبية تم تأسيسها انطلاقاً من روح الفلسفة والعلم، فإن أزمة الفلسفة والعلم هي في نفس الوقت أزمة البشرية الأوروبية بأكملها. إن "مرض" العلم والفلسفة يعني "مرض" الثقافة الأوروبية،

والعجز عن تحقيق الفكرة الأصلية للفلسفة، هو في نفس الوقت عجز أوروبا على أن توجد وتحيا حسب الفكرة المؤسسة لها". (عدالة، 2012، الصفحات 89-90)

والحقيقة أن الفينومينولوجيا ليست مذهبا أو فلسفة بعينها، وإنما هي في المقام الأول اتجاه أو منهج، وكل ما هنالك بعد ذلك هو فلسفات بعينها، وإنما هي في المقام الأول اتجاه أو منهج وكل ما هنالك بعد ذلك هو فلسفات فينومينولوجية، أعني تطبيقات فينومينولوجية. فليس هناك في الواقع فلسفة بعينها يمكن أن نشير إليها قائلين: "هذه هي الفلسفة الفينومينولوجية" وإذا استخدم أحد تعبيراً كهذا في مآزق فسوف يكون لزاماً عليه أن يحدد قائمة طويلة قد لا تسعفه الذاكرة في تحديدها لفلسفات متباينة، لا يربط بينها سوى منهج ولأسماء فلاسفة عديدين بعضهم قدر طور الفينومينولوجيا وفقاً لأغراضه الخاصة. وإذا كانت القائمة الفعلية طويلة، فإن القائمة الممكنة أطول، ومن هنا فإن تعبير "الفلسفة الفينومينولوجية" لا يمكن قبوله إلا إذا كان نعني به ذلك المنهج أو الاتجاه الفلسفي الذي عرف باسم الفينومينولوجيا. (توفيق، 1992، صفحة 19)

وهنا تعين على هوسرل تغيير الكوجيتو الديكارتي أي عبارة "أنا أفكر" والكوجيتو الجديد لا يثبت وجود "الأنا" ولكنه يتجه إلى تدعيم فعل الكوجيتو ذاته، وبدلاً من أن نقول "أنا أفكر فأنا إذن موجود" تصبح عبارة الكوجيتو الظاهري: "أنا أفكر في ذاتي المفكرة إذن أنا موجودة". وأهمية الكوجيتو الجديد تظهر في محاولته إبراز "الكوجيتو تام" أي مادة التفكير إلى جانب الكوجيتو. وعبارة أنا أفكر إذن فذاتي المفكرة موجودة لا تعني شيئاً سوى وضع "الكوجيتوتام" أي موضوع التفكير وضعا قويا مناسباً للظاهريات. والكوجيتو ذاتي المفكرة وقد احتوت على موضوعات للتفكير "والكوجيتوتام" ما لا يمكن أن يصبح الكوجيتو بدونها. وهو ما يظهر بنفس أسلوب الكوجيتو المباشر وبنفس الثقة والوثوق فيه. وأهم مقياس من مقاييس الصدق الحقيقي الواضح هو أن يصبح الكوجيتوتام أي موضوع التفكير مالكا لنفس خصائص الكوجيتو، أو الأنا المفكر. وذلك لأن أخطر حقيقة تعرضها

الظاهرة، هي أن وجود الكوجيتوتام أو موضوع التفكير، لا يمكن أن يكون محل شك. (الديدي، 1980، صفحة 33)

ويمكن ضبط المنهج الفينومينولوجي في ثلاث خطوات أساسية وهي:

- الابوخيا: Epoche

إن هدف الفينومينولوجيا هو الوصول إلى الماهية ومن أجل تحقيق هذا الهدف فإنها لا تستخدم الشك الديكارتي وإنما تستخدم "تعليق الحكم" وهو ما يسميه هوسرل بالاسم اليوناني "Epoche" أي تعليق وسجن الأحكام المسبقة حتى لا تثر على رأيتنا للموضوع، والذي يعنيه أيضا هو أن الفينومينولوجيا "تضع بين قوسين" عناصر معينة في المعطى، هي العناصر التي لا تهتم بها. (بوشنسكي، 1992، صفحة 186)

ويميز هوسرل بين عدة أنواع من الاختزال، فالتوقف التاريخي عن الحكم يفعل أول ما يفعل أن يغض الطرف عن سائر المذاهب الفلسفية وكأنها غير موجودة، لأن الفينومينولوجيا لا تهتم بآراء الآخرين، بل تتجه إلى الأشياء ذاتها.

بعد هذا الإيقاف الأولي عن التداخل، يأتي دور الاختزال الماهوي، الذي يضع الوجود الفردي للموضوع موضع الدراسة "بين أقواس"، أي يبعده هو الآخر عن التداخل في شأن البحث لأن الفينومينولوجيا لا تهدف إلا إلى الماهية.

ومع إجراء هذا الاختزال الذي يضع جانبا تفرد الموضوع ووجوده يكون قد تم الانحناء جانبا لكل علوم الطبيعة والعلوم العقلية بتجارب هذه وفروض تلك على السواء. بل إن الإله نفسه، باعتباره منبع الوجود ومصدره يوضع أيضا ما بين قوسين. ويخضع لنفس المعاملة المنطق وسائر العلوم الماهوية الأخرى. إن الفينومينولوجيا لا تدرس إلا الماهية الخالصة وهي تستبعد سائر مصادر المعرفة الأخرى. وهنا نشير إلى خطوتين منهجيتين أساسيتين تفتضيهما التقنية الفينومينولوجية المنهجية، وهما تعليق الموقف الطبيعي أو ما يصطلح عليه بالغة العربية "بالابوخية" أما الخطوة الثانية فهي "الرد الفينومينولوجي" أو الرد إلى

الماهيات عبر صوره المختلفة بقصد تخطي المستوى الوصفي والتحول منه إلى المستوى الترسندالي. (العش، 2022، الصفحات 59-61)

- الرد والاختزال: Réduction

أي رد الوقائع والظواهر إلى جوهرها وماهيتها، بحيث يعتقد هوسرل هو ذات وموضوع معا، فهما وجهان لشيء واحد، فالشعور هو ذات عارفة وموضوع للمعرفة، والرد الماهوي يعكس أو يعبر عن مهمة الفينومينولوجية التي تعتن بتحليل الشعور؛ أي تحليل القصد المتبادل بين الانا والعالم. وقد أضاف هوسرل في كتاباته الأخيرة، إلى الاختزال الماهوي نوعا آخر من الاختزال يسميه "الاختزال الترانسندنتالي" أو المتعالى ويقوم هذا الاختزال الجديد ليس في وضع الوجود وحده بين قوسين، بل وكذلك كل ما لا يمت إلى الوعي الخالص بصلة ونتيجة هذا الاختزال الترانسندنتالي هو أنه لا يبقى من الموضوع إلا ما هو معطى للذات وحسب. (بوشنسكي، 1992، صفحة 187)

ومن أجل الفهم الشامل لخطوات المنهج الفينومينولوجي ولنظرية الاختزال الترانسندنتالي ينبغي علينا الآن أن ننظر في مذهب هوسرل في "القصدية" لأنه هو أساس تلك النظرية.

- القصدية intentionnalité (قصدية الوعي)

يقول جارودي "إن الفكرة الرئيسية التي أدخلها هوسرل في الفلسفة المعاصرة، هي فكرة الاتجاه القصدية" وهناك شبه اجماع على هذا الرأي؛ فالحقيقة أننا عندما ننظر إلى فكرة القصدية من حيث معناها الواسع ودلالاتها البعيدة، فإنها ستبدو لنا بمثابة صلب الفينومينولوجيا ذاتها. (توفيق، 1992، صفحة 31)

أخذها من أستاذه برنتانو ونصها "إن الوعي هو الوعي بشيء ما" ولابد من الاعتراف أن هوسرل من البداية ركز في عملية المعرفة على القصد أو النية باعتباره موجه عملية الإدراك

حيث يقول "إن القصدية ليست محتوى، وإنما هي غاية اتجاه الأشياء لها تيار متدفق حركة وانفجار". (هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، 2007، صفحة 81)

الاختزال الترسندالي هو تطبيق للمنهج الفينومينولوجي على الذات نفسها وعلى أفعالها. وكان هوسرل قد رأى من قبل تقديمه لهذه النظرية الجديدة، أن ميدان الفينومينولوجيا ينبغي أن يتكون من مناطق مختلفة في الوجود. أحد هذه المناطق هو "الوعي الخالص" وهو منطقة متميزة من مناطق الوجود. والطريق إلى هذا الوعي الخالص يكون باستخدام ذلك المفهوم ذي الأهمية العظمى، ألا وهو مفهوم "القصدية" الذي تلقاه هوسرل من برنتانو كما أسلفنا وبشكل غير مباشر من فلسفة العصور الوسطى. (زيات، 2022، صفحة 20)

إن مفهوم القصدية مفهوم مركزي وأساسي في ظواهريته فبواسطتها يفتح الإنسان على عالم ويخرج عن ذاته المغلقة أي مع القصدية بدأ حوار وحد الصراع بين الذات والموضوع بالإضافة إلى ذلك فإن القصدية جعلت من الوعي وعيا حيويا حركيا فعال. وهكذا نستنتج أن الظواهرية ومن خلال القصدية حاولت العودة إلى الأشياء نفسها، ليست تلك الأشياء المادية الملموسة وإنما تلك الأشياء كمعطيات خالصة. بمعنى القصدية في معناها العميق هي ليست حكما يقصده العقل، بل هي إنتاج العقل للوعي وهذا الإنتاج سيكون حتما موضوعيا، لأن الإيبوخيا تحميه من تأثير معارفه السابقة كأنه إنتاج لا واعي للوعي.

4. خاتمة:

لقد استطاع هوسرل أن يضع نسقا فلسفيا متكامل، حيث أخذ بتعديل كثير من الموضوعات المكونة للفينومينولوجيا، حيث نجد أنها وردت متفرقة عند عدد كبير من الفلاسفة الذين سبقوه وتأثر بهم، فقد أخذ هوسرل فكرة الماهية الكلية الثابتة من أفلاطون، ونظرية القصدية من أستاذه برنتانو، والكوجيتو من ديكارت والتحليل النقدي

وفكرة العلم الكلي اليقيني من كانط، كما استخدم عدة مصطلحات فلسفية مثل مصطلح الحدس والتمتعالي والصوري والظاهر بنفس معانيها أو بعد تغييرها، حيث اخضعها لمعالجة ذاتية جديدة، فقد كان البناء الفلسفي للفينومينولوجيا عند هوسرل يتكون من تحويل الفلسفة إلى علم يقيني ترتد إليه بقية العلوم الأخرى. (عزوز، 2017، صفحة 66)

وهكذا قدم مشروع إدموند هوسرل في الفلسفة الظاهرية الكثير للدرس النقدي الغربي المعاصر، خصوصا لدى اتجاهات ما بعد البنيوية في أوروبا، ونظريات القراءة والتأويل المعاصرة، وفلسفة اللغة. (رويدي، 2023، صفحة 246)

ومن خلال حديثنا عن إشكالية المنهج الظاهري، وكيف تعامل معه هوسرل، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن فكرة هوسرل في كتابه "أفكار حول الفينومينولوجيا الخاصة" هو التحليل الأنسب، سواء لبناء الفلسفة الظاهرية أو لحل مشكلة المنهج. والذي على أساسه تقام كل العلوم، والفلسفة خاصة.

- إن مهمة الظاهرية لا تتخلص في وصف الأشياء الظاهرية فحسب، بل في تفسيرها. لا يقبل المنهج الظاهري ظواهر الوعي باعتبارها مجرد ظواهر معطاة، بل باعتبارها محملة بهياكل تاريخية طارئة تسبق ظواهر الوعي.

- إن العلاقة بين الوجود "المطلق" والتعالّي يجب أن تتوسطها عند هوسرل، فكرة "الكشف عن الذات" أو "التجلي الذاتي" للتعالّي.

- تهتم الفلسفة الظاهرية بالذات باعتبارها كائنا في العالم وتستكشف الذاتية والخبرة المعاشة من منظور الشخص الأول.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابراهيم مذكور. (1983). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- 2- إدموند هوسرل. (2007). *فكرة الفينومينولوجيا*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 3- إدموند هوسرل. (2011). *أفكار مهددة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهرية*. بيروت، لبنان: جداول للنشر والتوزيع.

- 4- أسماء مصباح. (2022). موقف إدموند هوسرل من أزمة العلوم الأوروبية. *مجلة التدوين، الصفحات 151-165*.
- 5- إميل بوشنسكي. (1992). *الفلسفة المعاصرة في أوروبا*. الكويت: عالم المعرفة.
- 6- بن عزوز نوال وبن محمد مختارية. (2017). الأزمة في العلوم والفلسفة إدموند هوسرل أنموذجاً. *مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة العلوم*. تيارت، تيارت، الجزائر: جامعة ابن خلدون، تيارت.
- 7- جلال الدين سعد. (2024). *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*. السعودية: مؤسسة دار تشكيل للنشر والتوزيع.
- 8- زكريا إبراهيم. (1968). *دراسات في الفلسفة المعاصرة (المجلد 1)*. مصر: دار مصر للطباعة.
- 9- زيات فيصل. (2022). *ابستمولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية. مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 676-698*.
- 10- زيات فيصل. (2024). *مباحث في الفلسفة القارية- الاتجاهات الفلسفية المعاصرة*. الجزائر: دار إيليا للنشر والتوزيع.
- 11- سرقة عبد القادر وعبد القادر بوعرفة. (31 ديسمبر، 2024). *فينومينولوجيا الدين فيما بين الأبوخية وحضور التصوف عند هوسرل. مجلة أبعاد، الصفحات 59-93*.
- 12- سعيد توفيق. (1992). *الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية هيدغر سارتر ميرلوبونتي دوفرين/انجاردن*. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 13- سماح رافع محمد. (1991). *الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- 14- عبد الرحمان بدوي. (1984). *موسوعة الفلسفة*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 15- عبد الفتاح الديدي. (1980). *الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة (المجلد 2)*. مصر: الهيئة المصرية العامة.
- 16- عدلان رويدي. (2023). *قضايا التأويل والقراءة عند بول ريكور. مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 243-249*.
- 17- محمد مهران رشوان. (1984). *مدخل إلى الفلسفة المعاصرة*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- 18- نابي بوعلي، عدالة عبد القادر. (2012). *حوار الفلسفة والعلم سؤال الثبات والتحول*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- 19- وصال العشي. (أكتوبر، 2022). *مقاربة سلامة الفينومينولوجية للمنطق والدين وفلسفة الحياة. مجلة قلمون، الصفحات 57-68*.
- 20- BADAL-LEGUIL Clotilde RUSS Jacqueline. (2004) *Dictionnaire de Philosophie*. Paris : Bordas.
- 21- Edmund, H. (1982). *Idées directrices pour une phénoménologie pure et une philosophie phénoménologique*. France : Gallimard.
- 22- Jacqueline, B. L. (2004). *Dictionnaire de Philosophie*. Paris : Bordas